قاعدة اقتصادية ، وكذلك عن ايجاد حل للمشاكل الأمنية التي ستنجم ، عندما يقوم عشرات الآلاف من اليهود بالاستيطان شرقي نهر الاردن . كما ربط اوليفانت مسألة تطوير شرق الاردن بمد خط للسكة الحديدية التي تربط البحر المتوسط بمنطقة الاستيطان اليهودي ، وهناك تتفرع تلك السكة باتجاه دمشق والاسماعيلية . كما اعطى اهمية استيطانية كبرى للاراضي الموجودة في غور الاردن [٢٤] .

ومن جهة ثانية ، اقلقت المخاطر التي قُدِّر أن يواجهها المستوطنون هناك ، وبخاصة من قبل البدو ، كارل نبتر ، مؤسس المدينة الزراعية (مقفي يسرائيل) . ووجدت مخاوفه تلك ردود فعل لدى كثير من الاوساط ، فنشرت المجلة الاسبوعية « جويش كرونيكل » ، المؤرخة في ١٨٨٢/٥/٨ رسالة من غولد سميث من بلغاست طالب فيها الغرب بالسماح لليهود بالهجرة ، واظهرأنه يؤيد مشروع الاستيطان اليهودي المنظم في شرق الاردن. وقد رأى في منطقة الجلعاد وبشان [المقصود هنا المنطقة الشمالية من الاردن وكذلك حوران والجولان] ، مناطق ملائمة لذلك . واما بالنسبة لقضية الأمن فيشير غولد سميث ، الى أنها حيوية وبخاصة فيما يتعلق بأمن الافراد والاملاك . وان باستطاعته تدبر الامر مع البدو ، وهو سيكون سعيداً لتولي تلك المهمة . ولهذه الغاية اقترح تشكيل حرس من ابناء المنطقة « الشركس » ، واقترح نفسه قائداً لهذا الحرس [٢٥] .

هذا ، وقد تعرف غولد سميث على اوليفانت واعجب به وبمشروعه . وفي ربيع عام ١٨٨٢ ، اراد مرافقته الى فلسطين اثناء جولته فيها . وخلال سنتين (١٨٩٠ ـ ١٨٩١) ، ومع زيادة الهجرة من روسيا، رسم غولدسميث وآخرون معه ، خطة للاستيطان الموسع في شرق الاردن ؛ وذلك في منطقة تبلغ مساحتها حوالى ٢٥٠ ألف فدان تابعة للحكومة العثمانية . وتم ، خلال تلك الفترة ، التقدم بطلب الى السلطان العثماني لاصدار فرمان يسمح فيه بالاستيطان اليهودي هناك . وقد حاول زعماء « احباء ـ صهيون » الحصول على تأييد الحكومة البريطانية لمشروعهم هذا، والحصول على وضع تلك المنطقة تحت الوصاية البريطانية. وقد اعتمدت خطة غولد سميث على الافكار التي طرحها اوليفانت من قبله، ولكن تم خلال المناقشات توسيع رقعة الاستيطان، حيث شملت الجلعاد والبلقاء وعجلون، ومن ثم المنطقة المسماة غريفه، شمالي نهر اليرموك[٢٦].

ومن جهته اقتنع غولد سميث ، اثناء زيارته للمنطقة ، بأن باستطاعة المستوطنين الدفاع عن انفسهم . ومن جهة أخرى ، تعلم من دروس الاستيطان ، أنه ليس باستطاعتهم الاعتماد على الشركس في الدفاع عنهم ، حتى اذا ما ارادوا ذلك . وبالعكس ، فانه عندما يستوطن اليهود بالقرب من الشركس ، فانه لا توجد ضمانة بألّا تحدث احتكاكات معهم . وقد اعطى مثالاً على ذلك ، انه عندما ذهبت جماعة « بني يهودا » من رجال صفد في خريف ١٨٨٥ للاستيطان في اراضي الرمتانية في الجولان ، الواقعة جنوب غرب مدينة القنيطرة وبالقرب من القرية الشركسية جويزه ، فقد حذرهم اوليفانت نفسه من المواجهة مع الشركس ، الذين يصفهم بأنهم « سارقو الابقار » [٢٧] . ولكن الخطة المذكورة تم ايداعها المستودعات ، حيث رفضتها « اللجنة الروسية ـ اليهودية » في اذار ١٨٩٢ ؛ وذلك خوفاً من تعرض اليشوف اليهودي في